

النذر

تضرعت "للريمي" خادم الإمام المؤتمن:
- قبل يديك وأبوس رجلك أن تُدخل طفلي هذا ليقراً الإمام عليه الفاتحة..
عسى أن يعيش لي فقد مات علي أطفال كثر..
نظر إليها.. امرأة كغيرها من النساء اللواتي يترددن على بوابة قصر الإمام
يطلبن دعاءه وقراءة القرآن على أبنائهن الرضع..
قدمت له خمسة ريالاً فضية.. أخذها وأخذ الطفل الرضيع بين يديه.. تتم
وهو متجه نحو الإمام قائلاً لنفسه: "المبلغ كبير.. وسيقرأ مولانا عليه
الفاتحة قراءة حارة دون شك ويزيد عليه من البصق أيضاً.."

* * *

دخل على الإمام وأحنى على ركبتيه وقبلهما.. كان الإمام كعادته يداوم في
فناء القصر مع كتبه الجالسين حوله القرفصاء.. يجيبون على تظلمات
الرعية ويحررون الرسائل والأوراق المختلفة.. والإمام يمضي بقلمه عليها
ويضع ختمه "الشريف" ذا الحبر الأحمر زيادة للأهمية.. نظر الإمام نحو
خادمة وسأله:

- هل هناك رعايا في الخارج..؟!
إنحني الخادم نحو أذن الإمام هامساً:
- أنهم هم.. كالعادة منذ العام الماضي يا مولاي..!
تململ الإمام فوق كرسيه الخشبي ثم قال متسائلاً:
- وما هذا بين يديك..!
- عفواً يا مولاي.. هذا طفل "مخلوق" تريد أمه أن تقرأوا عليه ما تيسر
من القرآن العظيم وأن تدعوا له بالصلاح..
تململ الإمام على كرسيه ثم قال:
- وماذا يا حمار..؟!
- خمسة ريالاً فضية يا مولاي..
تهلل وجه الإمام بالفرحة وبدأ يقرأ بعضاً من آيات القرآن ثم بصق على
الطفل كنوع من البركة.. وكالعادة أخذ المال وذهب الخادم في حال سبيله
ومعه الطفل ليرجعه إلى أمه..

* * *

بحث عنها كثيراً أمام باب القصر المصنف بالحديد والخشب والنحاس..
وسأل الحراس الغلاظ.. وزاحم "الرعايا" الذين يصيحون في الخارج
والنساء المولولات يبحث ويسأل الجميع عنها لكن دون جدوى..
نظر بأسى نحو الطفل الذي بين يديه.. فلم تكن هذه هي المرة الأولى التي
يحدث له مثل ذلك.. لكن كرم المرأة وسخاءها لم يكن متوقعا..

* * *

عاد الإمام.. يذرع ساحة القصر منكسر الجناح والطفل بين يديه.. لمحاه
الإمام فتهلل وجهه وقال كعادته:
- وما هذا بين يديك الآن..؟
تمهل قليلاً قبل أن يجيب..
- أنه يا مولاي.. نفس الطفل..
- ولماذا لم تعده إلى أمه أيها "البغل"؟!..!
صاح الإمام في وجهه فارتعدت مفاصله..
- لم أجدها يا مولاي..! بحثت عنها في كل مكان دون جدوى.. فأعدته إليك..
غمغم الإمام وهدق خادمه بنظرة أمره.
- خذ به إلى بيتك
أقترب الخادم وهمس قائلاً:
- كيف ذلك يا مولاي..؟! الخمسة ريالاً فضة لكم وأنا لي الطفل..؟!
انتفض الإمام من على كرسيه الخشبي كديك رومي وانتفخت أوداجه غضباً
وأتجه إلى داخل القصر صائحاً:
- يالك من وغد.. أحرق..
حاول الخادم كالعادة إصلاح الشأن بالهروع إلى قدمي مولاه وسيده
لتقبيلها.. لكن الإمام رفضه بقدمه صائحاً..
- عليك اللعنة.. يا خبيث..

أكتون: لندن-ربيع 1996م